ISSN :1112-4377 مجلة المعيار
مجلد: 24 عدد: 50 السنة: 2020

بناء الشخصية الأسرية
عند الأديب محمد عبد الحليم عبد الله والكاتب الأمريكي تينيسي ويليمز
دراسة مقارنة

The construction of the family personality
in the works of Mohamed Abdelhalim Abdullah and Tennessee Williams
A comparative study

قاسم موسى بلعديس[1]

جامعة منتوري قسنطينة

beladiskacem@gmail.com

تاريخ الوصول :2017/12/01 القبول: 2019/12/17 /النشر على الخط: 2020/03/15

Received: 01/12/2017 / Accepted: 17/12/2020 / Published online : 15/03/2020

ملخص:

لمحة تعريفية بالأديبين مصحوبة بطائفة من أعمالهما في مجال الأدب القصصي؛ ثم الشروع في دراسة العملين السرديين المرشّحين للدراسة. عندما كنت أفحص وأتأمّل بناء الكاتبين لشخصياتهما في المحيط الأسري تكشفت لي إمكانية دراسة عمليهما الأدبيين دراسة مقارنة لما بين موضوعيهما من أوجه التشابه و علائق القربى، ولكي يلتحم الكلام عن المقارنة بين عملي الأديبين قدّمت نبذة عمّا يحسن الالتفات إليه في الأدب المقارن؛ وكان حافزي إلى تلك المقارنة، تناول الكاتبين، موضوعين، أسريين اقتربا فيهما من التماثل.

الكلمات المفتاحية: نظرة الكاتبين إلى أحداث أسرية ،لا تخلو منها معظم البيوت.

Abstract:

The construction of the family personality in the works of Mohamed Abdelhalim Abdullah and Tennessee Williams; a comparative study, by Kacem Mussa Belaadis. Summary: A short presentation of the two authors followed by their works in the field of literary fiction, while dealing with the two narrative works that are studied. When I analyzed and meditated on the growing up of the two authors and their personalities in the family atmosphere, it seemed to me possible to study their literary works as a comparative study since there are several resemblances between their two themes. Then, I presented a brief summary of what catches the attention in comparative literature, and I compared the novel "For My Son" by the Egyptian writer Mohamed Abdelhalim Abdullah and the theatrical play "The Glass Menagerie" by the American writer Tennessee Williams. What motivated me more about their two family topics are the facts and conditions that attract attention and end the article with some results.

Keywords: The authors' view of family events, which are not without most homes.

[1]المؤلّف المرسل: قاسم موسى بلعديس الايميل : beladiskacem@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1) تعريف موجز بالكاتبين:

أ) تعريف بالأديب (محمد عبد الحليم عبد الله):

محمد عبد الحليم عبد الله كاتب روائي مصري، ولد سنة 1913م بقرية "كفر بولين"، مركز "كوم حمادة"، محافظة "البحيرة". ولد لأبوين غير ميسورين ماديا؛ ومع ذلك فقد حرصت والدته على أن ينال ابنها حظا من العلم يؤهّله لرتبة "الأفندية"، الذين كانت تستهويها مكانتهم الاجتماعية. وقد تحقق رجاؤها بنجاح ابنها في مسابقة القبول بتجهيزية "دار العلوم" بالقاهرة سنة 1928م. ومما يروى عن محمد عبد الحليم عبد الله أنه تحدّث عن نفسه في إحدى المناسبات فقال: "لقد كنت ذكيا في حياتي! ولم أكن من النابهين في مرحلة الشباب وذلك لدواع اجتماعية وصحية، أما الداعي الاجتماعي، فهو شعوري أنني منسوب إلى الطبقة الفقيرة. وأما الصحي، فإنني كنت ضئيل الجسم حاد الحساسية. ولما صرت شابا، أصبحت كثير الأحلام، كثير الشرود، وهذا يتنافى مع تحصيل الدروس". ومن بعض ما ذكره الدكتور يوسف نوفل مؤلف كتاب فنّ القصة عند محمد عبد الحليم عبد الله، ما ذكره عن هذا الكاتب: "...وقد لفت أنظار أساتذته أسلوبه الجيّد، وعباراته المشرقة ! وتجلّى ذلك في موضوعات التعبير وفي كلمات ألقاها في حفلات مختلفة بالمدرسة، ليس ذلك فحسب؛ بل ومما يفصح عن موهبة محمد عبد الحليم عبد الله الأدبية، أنّه عندما ألقى كلمة رثى بها أحد أعلام مصر يومئذ. وبالنظر إلى روعة الكلمة وبلاغتها نشرت على الناس مع كلمات أساتذته، ومع كلمات أعلام الأدب آنذاك؛ وهو مازال طالبا في دار العلوم"[1] ويتّضح من هذا التعريف الوجيز لمكوّنات شخصية محمد عبد الحليم عبد الله، من: نشأة أسرية متواضعة أورثته حدّة في الحساسية وقدرة على صياغة أفكاره في لغة سلسة مؤثرة؛ كلّ ذلك وغيره مكّنه من الظهور والتميّز في حقل الفن القصصي. لذلك فلا غرو من أن يتواتر ذكر اسم محمد عبد الحليم عبد الله على أيّ قائمة تعرض أسماء الكتّاب الذين أعقبت أعمالهم في القصة والرواية رواية "زينب" للدكتور محمد حسين هيكل. تلك الرواية التي توصف عادة بأنها أول عمل روائي توفّرت فيه أهمّ عناصر فن الرواية الحديثة في تاريخ الرواية العربية. وعليه فإن محمد عبد الحليم عبد الله يعدّ من جيل الكتّاب الذين استلموا راية الرواية العربية الفنية بعد هيكل، وهو الجيل الذي من بين أعضائه:(يحي حقّي، توفيق الحكيم، يوسف السباعي، يوسف إدريس، نجيب محفوظ، وغيرهم...).

يندر أن يطّلع القارئ على أسطر تعرّف بمحمد عبد الحليم عبد الله، دون أن يقرأ فيها المعلومة القائلة: " إنّ معظم أعمال، محمد عبد الحليم عبد الله، قد حوّلت إلى أفلام سينمائية، أو مسلسلات تلفزيونية، لما تزخر به من أحداث و قضايا اجتماعية حسّاسة!. من قبيل ذلك: روايته الأولى التي دخل بها مسابقة القصة. المنظمة من طرف مَجمع اللغة العربية بالقاهرة، ففازت بالرتبة الأولى، وهي بعنوان "لقيطة" ونشرت سنة 1947م. ثمّ ما لبثت أن أخرجت فيلما سينمائيا بعنوان **"ليلة غرام"**.

ولعل إقبال السينمائيين عليها، كان بمثابة ترحيب ومُؤازرة لجرأة الكاتب على تناوله معضلة اللقطاء؛ التي بقيت إلى ذلك العهد موضوعا شائكا لم يقترب منه كاتب عربي. وتلك الرواية بفعل خطورة موضوعها اجتماعيا، وتأثير أسلوبها الرومانسي الذي أوشك أن يصرفها عن منطق الواقعية. هي التي حققت له الشهرة والانتشار الواسع بين القرّاء وجعلته يخطو في دنيا الرواية العربية خطوات محسوسة واعدة. وسنقتصر في ذكر أعمال الكاتب الأدبية، على ما ألّفه من روايات وهي على التوالي وفق عناوينها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. لقيطة	5. شمس الخريف	9 . الجنة العذراء
2. بعد الغروب	6. غصن الزيتون	10. البيت الصامت
3. شجرة اللبلاب	7. من أجل ولدي	11. الباحث عن الحقيقة
4. الوشاح الأبيض	8. سكون العاصفة	12. للزمن بقية
		13. قصة لم تتم

ب) تعريف بالكاتب الأمريكي (تينيسي ويليمز):

يعتبر الدارسون للأدب الأمريكي تينيسي ويليمز، آخر عظماء كتّاب المسرح الأمريكي طيلة أواخر النصف الأول من القرن العشرين حتى أواخر النصف الثاني من القرن.

لقد ولد عام: (1911م)، وتوفي عام: (1983م). نشأ في أحضان أسرة متوترة غير مستقرة، والده لم يكن على علاقة طيبة بأمّه، فكان الشجار المتواصل بينهما مؤلما لأطفالهما؛ و أثناء دراسة تينيسي بجامعة الميسيسبي، وقد تخرّج منها فيما بعد. هنالك شاهد مسرحية الأشباح للكاتب النرويجي هنريك إبسون. وإعجابا منه بالمسرحية، قرّر يومئذ أن يصبح كاتبا مسرحيا، وقد تحققت رغبته، فنال العديد من الجوائز على أعماله المسرحية، منها: جائزة البولتزر سنة:(1948م) على مسرحيته: "عربة اسمها الرغبة " وقبلها لفتت الأنظار إليه، مسرحيته: "الحيوانات الزجاجية" التي عرضت سنة:(1945م) بإحدى مسارح برودواي الشهيرة. ولسوء حظ الكاتب فقد واكبت نجاحه في عالم المسرح، أحزان عكّرت صفو عيشه وحرمته الإحساس بالرضا عن حياته، فترتّب عن ذلك وقوعه في مستنقع المخدّرات والإفراط في الشراب.

وصف تينيسي ويليمز لمعاصريه من كتّاب المسرح:

يذكر جون باك مؤلف كتاب "تينيسي ويليمز سيرة حياة" أنه قرأ في إحدى مخطوطاته وصفا قاسيا لمعاصريه من كتّاب المسرح، وهو قوله:" كتّاب المسرح، أولئك المشاكسون المتلعثمون، إنهم أشبه بمصاصي الدماء وأشبه بالمتسوّلين". ومن سخرية الأقدار أن أصبحت مسرحيات تينيسي ويليمز بعد ثلاثين سنة من وفاته، من أنجح المسرحيات عرضا ومشاهدة على مسارح العالم. حصل ذلك الرواج لأعماله المسرحية بعد أن كان وهو على قيد الحياة، يقدّم عروضا لبعض أعماله على حسابه الخاص.

لقد عاش تينيسي ويليمز السنوات الأخيرة من حياته، يعاني الكآبة والوحدة والخوف من الجنون؛ الذي ختمت به حياة أخته (روز). توفي مخلفا وراءه أعمالا أدبية كثيرة تراوحت بين شعرية ومسرحية وروائية.

الجو العام لمسرحيات تينيسي ويليمز:

توصف مسرحيات هذا الكاتب، بأنها مسرحيات مأساوية في الغالب. هنا تجدر الإشارة إلى أنّ العديد من الشخصيات التي تظهر في مسرحياته، تبدو وكأنها تعكس أصداء من حياته الأسرية المضطربة مثل: TOM وLAURA في مسرحية "الحيوانات الزجاجية" ومثل الشخصية الرئيسية في مسرحية "عربة اسمها الرغبة". وللاطلاع أيضا، فيما يأتي طائفة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناوين مسرحيات تينيسي ويليمز: "**قطة فوق سطح صفيح ساخن، فجأة في الصيف الماضي، طير الشباب الحلو**...وغيرها".

2) بناء الشخصيات الروائية الأسرية في رواية "من أجل ولدي" لمحمد عبد الحليم عبد الله.

بعد لمحة عن الأديبين، أشرع في الدخول إلى النص السردي الأول، أعني رواية "من أجل ولدي".

يذهب بعض الدارسين لأعمال محمد عبد الحليم عبد الله، إلى القول بأنّ لفيفا من شخصياته في القصة والرواية يبدو رخوا ضعيفا لا يثور ولا يقاوم. بينما أرى أنّ الشخصيات التي تصوّرها قصص أو روايات أيّ كاتب لا تعدو كونها شخصيات مستلهمة من المحيط الاجتماعي الذي يحتضن الكاتب نفسه، ولا يستبعد أن يكون لكل كاتب نزوع إلى تصوير نمط بعينه من الشخصيات، فضلا عن أنّ الحكم السالف الذكر على شخصيات محمد عبد الحليم عبد الله، ينطوي على قدر كبير من المبالغة والتعميم. ثمّ إنّ الكاتب الذي يضع نصب عينيه أن يرتفع وينأى في كتاباته عمّا يمور في قاع المجتمع، الذي يضطرب في أرجائه، فإنّ أعماله في الغالب لن يكون لها حظا محسوسا من الانتشار؛ لأنّ القرّاء لا يجدون فيها بعضا من أنفسهم. وذلك البعض من النفس هو السرّ الخفيّ الذي يجذبنا إلى قراءة الأعمال الأدبية. ورواية من أجل ولدي، رواية مفعمة بأبعاض من نفوس القرّاء. ففيها نلتقي بشخصية "أمّ" تقول عنها الصفحات الأولى للرواية، أنها كانت شخصية عادية ضعيفة خاضعة لسلطان زوجها إلى حدّ جعل ابنها "فؤاد" في مرحلة من مراحل شبابه يعجب من ذلك الخضوع والاستكانة لوالده، وبما أنّ دواليب التغيير في الحياة هي الأسباب، فإنّ تغير شخصية "أمّ فؤاد" وتحوّلها من شخصية ترضى وتصمت عن كلّ ما يصدر من زوجها إلى شخصية لا ترى غير رأيها، ولا تأتمر بغير أوامرها وإن استشارت. وعامل ذلك التحوّل في شخصية أمّ فؤاد يرجع إلى فقد الأسرة لعائلها الوحيد بالوفاة – أعني وفاة زوج أمّ فؤاد– رحل عن الدنيا على غير توقّع من أهله مخلفا وراءه ثلاثة أطفال، جميعهم في المراحل الأولى من التعليم؛ وليس لهم من مورد سوى معاش ضئيل يصرف لهم من وزارة الصحة، حيث كان يعمل والد فؤاد، تحت ظلّ هذه الظروف العسيرة. طفق الكاتب يصنع ويصوغ قوة شخصية "أمّ فؤاد".

ونرى الكاتب –وهو بصدد تخليقه لقوة تلك الشخصية– يستثمر عنصرين أساسيين هما: كون الشخصية امرأة، وكونها أمّ أرملة، فمنذ الأسبوع الأول من وفاة الزوج، شرعت في وضع نظام جديد لمعيشة الأسرة؛ قوامه الحذر والتقشّف في المصروفات، والإيحاء لأطفالها بأنّ الأيام حبالى بما لا يسرّ، وفي اللقطة التي تحدث فيها الراوي وهو فؤاد نفسه، عن جانب من أحوال الأسرة بعد رحيل والده قال: "وأرسل لنا رئيس أبي رسالة مع أحد الخدم، أبدى استعداده فيها أن يُعيّنني في إحدى الوظائف؛ لأنّه يعلم حقيقة حالنا، وقد كان أبي من المحبوبين لديه ولم يكن يخفي عنه شيئا".

وسهرت أنا وأمّي ندرس الموضوع. ماذا أقول؟! هل كنا ندرسه معا؟! لا، مطلقا. قالت أمّي وهي جالسة على المصلى ونظراتها في حجرها:

– لنفرض أنّك توظفت. هذا حسن! فهل بضعة الجنيهات التي ستدخل إلينا تساوي قطع تعليمك. أظنّ: لا.

فسارعتُ بالموافقة.

فألقت عليّ نظرة شاملة كأنها احتوتني بها. ودخلت علينا "بدرية" تقترح أن تَقلي العجّة بالسمن؛ فردتها أمي إلى الصواب بتخويفها من المستقبل وأمرتها أن تقليها بالزيت".[2]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واسترسل الراوي في استرجاع بعض خواطره عن تلك الفترة إلى أن قال: "وعندئذ صرّ الباب وانفرج منه وجه أمي أبيض زاهيا في الملابس السود، ونور مصباح الصالة واقع على ظهرها".

وفجأة تمتمت شفتا (سميرة) التي كانت غير حاضرة الذهن، ونظرت أنا إلى أمّي أسأل عمّا تريد.

دخلت وفي رجلها شِبشِب من الصوف، لا يسمع له وقع ثم اتّكأت على حافة المكتب وسألتني:

– هل تذهب غدًا لمقابلة الأستاذ "الجمّال" الذي أرسل في طلبك من أجل الوظيفة؟

فكان جوابي سؤالا آخر:

– أذهب؟

فوافقت من خلال تنهدها ثم صارحتني بمخاوفها أن أعيّن خارج القاهرة، إذن ليصبحن حساب الربح أدنى من الخسارة. فالبيت يريد رجلا وعدّة جنيهات:

– هذا ما ينبغي أن تقوله في وضوح. ابذل كثيرا من الاحترام، واجعل في ملامحك شيئا من التعبير (وعضّت على نواجدها من الضيقة).

– حاضر !

فقالت بانفعال جديد:

– أنا لو كنت تعوّدت أن أقابل الموظفين... لذهبت إليه!!

– ليس هناك ما يدعو إلى ذلك.[3]

لنلاحظ أنّ الكاتب لم يغفل زاوية دقيقة في طبيعة المرأة، تظهر في حرصها الشديد على بلوغ ما ترغب في الوصول إليه، وحرصها ذاك يفضي بها أحيانا إلى ارتكاب أخطاء. من ذلك تعقيب أمّ فؤاد: "أنا لو كنت تعوّدت أن أقابل الموظفين... لذهبت إليه !!"

وكان الأَولى بها تجنّب ذلك لأنّ ما صرّحت به قد يؤدّي إلى عكس ما يراد منه، وهو أن يشعر الابن بعدم ثقة الأمّ في كفاءة ابنها. ولما تحققت أمنية الأمّ بتوظيف ابنها في مكتب من مكاتب المحاسبة بوزارة الصحة؛ وبعد خمسة وأربعين يوما، تسلّم فؤاد مرتّبه الأول وعاد إلى البيت بمزاج يشعره أنّ كلّ شيء فيه قد تغيّر. عند دخوله إلى البيت وتوجّهه إلى غرفة النوم، صادف في طريقه أشياء نغفل ذكرها. لندعه يروي بقية الحدث مباشرة حيث يقول: "وناديت أمي فجاءت من الحمام وكفها حمراء من دعك الغسيل وعرق طفيف على شفتها العليا".

ودخلت إلى حجرتي وتبعتني، كل شيء فيّ كان قويا، وكنت أمشي بخيلاء !. وجلسنا على أريكة جنب فراشي وصرت أخرج من كلّ جيب نقودا وأضع كل ذلك بين يدي أميّ.

وأعادت تجفيف كفيها في ذيل ثوبها ثم أمسكت النقود. ولاحظت أنّ أناملها ترتجف وأنّ شيئا من الحزن يطفو على وجهها وزايلتني الفرحة وحلّ مكانها وجوم غريب! وإذ انقلب مرحنا انقباضا، كان يدعو إلى التقزّز كالعسل إذا خلطته بالملح!

– ماذا بك يا ماما؟ ... هل يحزنك أن أقدّم إليك مرتّبي؟

فأجابت بأسف لم تستطع ستره:

– أبدا يا بني! ... لكنني تذكرت ماذا كان يفعل أبوك ...آه ...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولثمت النقود وأطبقت عليها كفّها .....

ثمّ قالت بصوت حزين:

– لقد أصبحت أبا في وقت مبكّر...لك ثلاث من البنات ... اثنتان منهن قابلتان للزواج. آه.. آه..

فتدخلت في الموضوع:

– إنني سعيد بكل هذا يا ماما!.

– أنا واثقة. لكن بمناسبة بدء أكلنا من عرق جبينك، أحب أن أذكّرك بشيء. نحن معك كمن ينظر إلى الدنيا بعين واحدة، فإذا رمدت أو فقدت عاش في الظلام. تمام؟!

قلت بشيء من الجزع:

– وما الداعي لهذا كله؟ ألست ابنك ؟!

– ليس في الدنيا أمّ مزوّرة. قوة الأمومة في أنها من المحال أن يتسرب إليها الشكّ.[4]

يبرز في هذا النص الحواري بين الأمّ وابنها "فؤاد"، يبرز فيه لأوّل مرة إشهار سلاح الأمومة في وجه فؤاد، وفي النص بقية من كلام الأم؛ كلّه رسائل وإيحاءات تنصبّ جميعها في مجرى خشية الأمّ من أن تفقد ابنها بطريقة من الطرق. هذه القوة الناعمة في شخصية أمّ فؤاد، سيدأب الكاتب على إنمائها ومضاعفة ضغطها على الإبن "فؤاد" حتّى تصل إلى ما يشبه كتم الأنفاس أو الحجر الإجباري على تصرّفات الإبن. ففي نوبة من نوبات انزعاج "فؤاد" من سلوك أمّه حياله، اختلى بنفسه فراح يذكر ما تعامله به من شحّ وتقتير! وكيف كان يحتال على اقتطاع قروش من مرتّبه، إلى أن قال: "هل عامَلت أبي هكذا؟ لقد كان يشرب أشياء غير الشاي! ويذهب إلى أماكن غير السينما! وكانت تطلب رضاه!. أما أنا فإنني أعطي، وأطلب الرضا؟! وحاولت أن أعثر على الفرق بين الرجلين: بيني، وبين أبي ؟... فلم أستطع! وقلت: إنّ خير مرشد لي أن أحاكيه بطريقة ما، فجئت أول الشهر التالي، وقدّمت إليها المرتّب ناقصا خمسين قرشا. فأعادت عدّ النقود ثمّ أعادت عدّ النقود. ثم سألتني بابتسامة فيها مرارة:

– مبروك هل حصلت على ترقية ؟!

– كنت أريد أن أمزح أو أن أجرّب لكنني كنت أضعف من أن أحمل لطمة. فهتفت محتجا:

– ماذا يا ماما؟

فأجابت بتراجع أقوى من الهجوم:

– "لا شيء ... لا شيء ... إنه مالُك وأنت حرّ فيه. لكنني أحببت أن أضبط الحسبة".[5]

لقد اختلق لنقص المرتّب كذبة أحسّ إثرها أنّ أمّه لم تصدّقه. فوصف كيف بدا له وجهها لحظة سماعها الكذبة:" إنّ وجه أمي قد بدا أمامي مريعا للغاية! حتّى كاد يحملني على الاعتراف. خيّل إلي أنه قد انتفخ وتضخم، كأنه تورم واتسعت عيناها القويتان كعينين طبعتا على الشاشة، وفاض منهما شكّ وتعبير وتأنيب وحزن وذكرى!".[6]

واسترسل "فؤاد" في وصف ذلك المشهد الذي أضرم في نفسه ثورة لم تجد لها متنفّسا بعد. قد لا يجادل أحد في ما بدر من أمّ فؤاد اتجاه سلوك ابنها، فانفعالها إلى ذلك الحدّ ربما ينبئ عن مخاوفها من أن يكون تصرّف الابن غير السليم –حسب تقديرها– من أن يكون ذلك فاتحة خروج إدارة شؤون الأسرة عن طوع يدها. لذلك نراها لا تفتأ عن تشديد الحصار على ولدها فؤاد حتّى لكأنه عصفور غير داجن! إن أمكنه يوما أن يحلّق في الفضاء لن يعود إليها ثانية. والحصار الممارس على فؤاد من قبل أمّه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أساسه دائما حسن النية، والإشفاق على الأسرة. ففي ليلة وصل إلى البيت، وجد أختيه "بدرية" و"سميرة" قد تعشّتا وآوتا إلى النوم. فجلس مع أمّه يتعشّيان. وأثناء العشاء، شرع فؤاد يقدّم لأمّه تفسيرا مفبركا عن موضوع _ أدع الخوض فيه الآن_ لكن الأم بفطنتها، وحدسها المعتاد، واستعدادها هي للحديث في موضوع أهمّ في نظرها قاطعته:

– "انس الموضوع. لنتكلم في شيء آخر. لقد استطعت أن أدّخر عشرة جنيهات من دخلنا في الأشهر الأخيرة. آه ...الأيام تمرّ. من يصدّق أنّه قد مضى عليك في الوظيفة عامان. على فكرة لابدّ أن تتصدّق على روح والدك.

– أظنها الآن مستريحة!

– طبعا لكنها تهدأ تماما، عندما أزوّج البنات. آه ..."بدرية"[7]: إنني أفكر فيها دائما يا فؤاد... بقلبي![8]

إذن لأمّ فؤاد أولويات ما برحت تكدح على رفعها فوق كلّ أولوية، وانخراطها في ذلك المسار، يحجب عنها – لسوء الحظّ – رؤية من قد يذهب ضحية خطّتها التي لا يراجعها فيها أحد. لذات السبب امتلأ صدر فؤاد نقمة على الحياة المفروضة عليه من قبل والدته!. كلاّ، لا يؤاخذ فؤاد عمّا يخامر قلب فؤاد من مشاعر الإحباط والملل، إزاء امرأة استغرقها الانشغال بأمر تزويج بنتيها، حتّى صرفها وأذهلها أن تفكّر أنّ لابنها حاجات ومطالب، لا مناص من الالتفات إليها وإشباعها. في حين نرى أمّ فؤاد لا تمنح ابنها – عدا كلمات تنثرها هنا وهناك بين أدراج الكلام – من مثل: "تزوّج يا بنيّ، أنا أريد أن أعيش حتّى أرى زوجتك..." إلى غير ذلك من الكلمات التي تظلّ كلمات! وتبقى "دار لقمان على حالها". فالقطرة التي أفاضت الكأس –كما يقال– هي أنّ أمّ فؤاد لم تكتف بإعطاء كلّ اهتمامها ورعايتها لبنتيها وشأن تزويجهما فحسب؛ بل هي تنتظر من ابنها فؤاد أن يستخبر عن بنتها "بدرية" وزوجها "رشدي" اللذان أقاما معهما أياما، ثم عادا إلى بيتهما!. والنص الآتي يفصح عمّا أومأنا إليه الآن: " جلسنا نتغدّى في صمت لا تسمع فيه إلا حركات الملاعق، وأمامنا طعام ملفّق لا يفتح الشهية؛ وأدركت أمي أنني لن أبدأ بالحديث فقصدت أن تكون البادئة:

– لماذا لا تسأل عمن كانوا هنا؟

فقلت، ووجهي إلى طعامنا ببرود غير مألوف:

– لأنّي أعلم أنهم صاروا هناك؟

– بدأت تتغيّر !

– كل يوم هو في شأن !

– تذكّر رضاي عنك؛ وحاول ألا تكتم عني شيئا.

فنظرت إليها نظرة فارغة؛ وكأنما لا تربطنا ذكريات، وقلت لها:

– أنا لا أملك شيئا أحبّبه عنك.

– ليت الأمر كذلك.

– أنا لا أملك إلا حياة فارغة لا تساوي همّها.

فأجابت مرتاعة:

– هل أنت ضجر إلى هذا الحدّ؟!. لم يعد هناك ما يستحق الضجر يا بني... الاثنان عدد ينقسم بسهولة. هل أنا عبء عليك؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– لست عبئا على أحد ...

– ليتني متّ قبل أبيك فارتحت من العناء.. أنت بحاجة إلى امرأة ..تزوج يا بني فأنا لا أسدّ طريقك. لم أعد محتاجة إلا إلى جرعة من الدواء وكسرة الخبز. ومعاشي يكفي لذلك. أمّا الديون؛ فقد كانت من أجلكم أنتم...

وظلّلنا صمت اندفعت بعده أقول بصوت مرتفع كأنني أخاطب غير أمي:

– خلاص ضجرت من هذه الحياة. لقد اتخذت قرارا نهائيا... ولعل التصميم كان باديا في وجهي بشكل لا يقبل الشك. ويثير الجزع و المخاوف!. قالت أمي بنبرة أشدّ عطفا ولينا:

– طيب وعلى ما عزمت؟

– فرددت بصوت أكثر ارتفاعا، كأنما لأسمع جميع الناس:

– على الانتحار... على الموت ... على أن أقتل نفسي. هل فهمت الآن ما الذي أنوي عليه؟!"[9]

تلك هي النتيجة الحتمية للقاهر، والمقهور على السواء؛ فالقاهر لا يجدر به أن يحلم بأنّ قهره سيمتدّ إلى ما لا نهاية، والمقهور لا مفرّ له من اتخاذ موقف بعد طول صبر واحتمال، ولو بما هدّد به الفتى فؤاد أمّه! هكذا إذن، بنى الكاتب قوة شخصية أم فؤاد على عاملين اثنين كما أسلفنا الإشارة إليه من قبل، وهما جنسها، وأمومتها. وكلاهما، سلاحان مجديان، لولا جزع الأم وإشفاقها "الهستيري" على مصير فتاتيها "بدرية" و"سميرة". وهذا القلق المفرط والمشرف بصاحبه على الجنون، الذي يتملّك بعض الأمهات بشأن الرغبة الجارفة في تزويج بناتهن ممّا يلحظ في عالمنا العربي؛ نجد له نظيرا صارخا في الأدب الأمريكي وأعني بالذات في مسرحية "اللعب الحيوانية الزجاجية" للكاتب الأمريكي تينيسي ويليمز.

وقبل المضي في المقارنة؛ أوثر أن أجعل الأسطر الآتية، مدخلا يسيرا إلى حقل "الأدب المقارن" ننفذ منه إلى قدر من المقارنة بين العملين الأدبيين المذكورين، أعني "من أجل ولدي" و "اللعب الحيوانية الزجاجية" للأديبين: محمد عبد الحليم عبد الله و تينيسي ويليمز.

يقول الكاتب والناقد الدكتور محمد حسن عبد الله في صدد تعليقه على كتاب "حدود الأدب المقارن" لمترجمه د. عبد الحكيم حسّان. يقول ما مفاده:" من يودّ دراسة موضوع من الموضوعات في هذا الفرع من الأدب، له أن يسلك إليه أحد المنهجين: "المنهج التاريخي التوثيقي" وهو المنهج الفرنسي في الأدب المقارن، أو "المنهج التذوقي الإبداعي" وهو المنهج الأمريكي. ويأتي هذا المنهج معبّرا عن الشخصية الأمريكية؛ في نبذها للقيود ورفضها للأطر المتحكّمة، والأشياء المعتادة. وهذا ما جعل ذوي الاهتمام من الأمريكيين، يعتبرون "الأدب المقارن" نصا نقديا يغني الرؤية، ويعتمد على الاستبصار والتذوق، وعلى الحرية في الدلالة على مواطن الإبداع الكامنة في النصوص المعتمدة، موضوعا للدراسة. وأصحاب هذا المنهج لا يشترطون اختلاف لغة النصّين.

يفهم من سالف الكلام، أنّ المشتغل بالأدب المقارن على هذا المنهج، لا ينتظر منه التركيز على ما أخذ اللاحق من السابق، ولا بإحصاء الكمّ المأخوذ من أسطر، أو فقرات إلى ما هنالك، مما يوشك أن يلامس التحقيقات الجنائية؛ وإنما المنتظر ممن يدخل هذا الحقل وينتخب نصّين يتناولان نفس الموضوع، ونفس القضايا على الإجمال. عندما يحصل ذلك، فإنّ المطلوب منه أن يضع مسطرة دلالته، على الزوايا الإبداعية الخفية في ثنايا النصّين والانزياحات التي تمتدّ إليها ظلالها، فضلا عمّا قد يكتشفه في غضون ذلك من مناحي القصور أو الضعف الفني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد حاولت في رواية "من أجل ولدي" لمحمد عبد الحليم عبد الله، أن ألملم أطراف بناء الكاتب لشخصية المرأة الأرملة التي ترغمها أقدارها على تسلّم زمام قيادة أسرتها في خضمّ الأيام وتقلّباتها، والأرملة المتوفّى زوجها غالبا ما تبدأ حياتها الجديدة مهيضة الجناحين "المادي" و"المعنوي"!. فالجناح الأول، بعد أن كان راتبا مضمونا يدخل إلى جيب الزوج من عمله مع نهاية أو بداية كل شهر، يصبح مجرّد معاش غير مجز؛ يُتسلّم من مصلحة المعاشات!. والجناح الثاني المهيض للأرملة في وضع أم فؤاد، يمثّله رحيل زوجها عن الحياة؛ ذلك الذي كانت تفيئ إلى ظلّه في كلّ ملمّة كبيرة أو صغيرة. وفجأة ألفت نفسها في عراء من أيّ ظلّ، أو لنقل تحت ظلّ مرتعش؛ لا يصدّ عن الرؤوس وهج شمس الأيام!. وعنيت بالظلّ المرتعش ابنها "فؤاد"، الذي لم يبلغ من سنّه بعد ما يؤهّله للاعتماد عليه، وذلك ما آل إليه حال أمّ فؤاد في رواية "من أجل ولدي". وفي الأسطر الآتية أشرع في الاقتراب من مسرحية "اللعب الحيوانية الزجاجية" للكاتب الأمريكي تنيسي ويليمز.

مسرحية "اللعب الحيوانية الزجاجية" لتنيسي ويليمز(ترجمة: حسين الحوت، إخراج: كامل يوسف). أذاعها البرنامج الثقافي من القاهرة ضمن برنامج "من روائع المسرح العالمي" يمثّل أعضاء المسرحية، خمس شخصيات أدوار أربعة منها، تكاد تكون متساوية في الأهمية بالنسبة لأحداث المسرحية. أما الشخصية الخامسة فهي لا تزيد عن كونها صورة معلّقة على الحائط بغرفة الجلوس. ودورها لم يَعْدُ ما تشير به إليها – أعني الصورة المعلقة على الحائط– ما تشير به إليها هذه الشخصية أو تلك خلال ما يدور من الأحاديث بين الشخصيات الأربعة. والشخصيات هي الفتى "TOM"و الأمّ "AMANDA"، "LAURA" شقيقة TOM، "JIM" الخاطب وصورة الأب المعلقة.

وموضوع المسرحية، موضوع أسري، وهو من هذه الوجهة مشابه أو مماثل لموضوع رواية "من أجل ولدي" مع اختلاف في التفاصيل بطبيعة الحال. AMANDA امرأة غادرها زوجها بعد أن أنجب معها طفلين. TOM و LAURA والدهما غادر الأمّ AMANDA دون اكتراث بما يؤول إليه أمرها وأمر طفليهما، ولولا ما تحظى به تلك السيدة من قوة الشخصية وصلابة الإرادة لعرفت الأسرة أوضاعا أكثر مأساوية من التي عرفتها.

المقارنة:

ففي رواية "من أجل ولدي" لمحمد عبد الحليم عبد الله، تعرّفنا على شخصيتين: شخصية الأم، وشخصية الإبن "فؤاد" القائم بدور الراوي في الرواية. وإن لم أخص شخصيته بتحليل يذكر، تاركا ذلك اعتمادا على بعض ما يصل إلى القارئ عن شخصية "فؤاد" خلال النصوص المقدّمة عن شخصية أمّه، وعين الحال أيضا جرى مع شقيقتيه: "بدرية" و"سميرة"، لكن هناك شخصية لا مفرّ من العودة إليها، لذكر جانب من سلوكها في الحياة. وصاحب الشخصية هو "أبو فؤاد". ذلك الرجل الذي ظلّ إلى آخر شوط في حياته، يصرف لياليه في السُكر والعربدة مع "شلّة" من الرفاق، أولئك الذين حجزوا بإحدى حانات القاهرة ركنا ثابتا لا يتغيّر، فهم يتوجّهون إليه كلّ مساء ليغرقوا همومهم ورتابة حياتهم اليومية في كؤوس الخمر، التي يطرّزون حواشيها بما تطفح به قرائح السكارى من نكت، وتعليقات ساخرة، تارة بأنفسهم؛ وتارة بالعالم كلّه. وعادة ما يمتدّ بهم السهر إلى مقربة الفجر حيث تراهم يغادرون أماكنهم الواحد تلو الآخر، متلمّسين الطريق إلى بيوتهم؛ وحالهم أشبه بالصراصير المرشوشة بمبيد للحشرات!

وقد تعبت أمّ فؤاد من بذل مساعيها لإخراج زوجها من ذلك النفق، فلم تفلح إلى أن أفضى به إدمانه لعادته إلى الموت المبكّر!. رجعت إلى ذكر جانب من سيرة ذلك الرجل، لأصل منها إلى تأكيد بديهة لا تخفى على المتأمّل، وهي أنّه لا فرق أن يُغيّب الموت عائل الأسرة، وبين أن يَغيب ذلك العائل عن أسرته وهو على قيد الحياة، لكنها حياة غير مؤكّدة الوجود. وذلك ما وقع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأسرة السيدة "AMANDA" يوم أن خرج زوجها من البيت مسافرا دون أن يُعلم أحدا بوجهته، تاركا أسرته بين براثن الحاجة، وضرورات الحياة التي لا ترحم الموسر فضلا عن المعدم. ربما لا نجانب الصواب، إن قلنا ليس ثمة فرق شاسع بين قصة الرواية، وقصة المسرحية سوى أنّ الأولى تقرأ في كتاب أو يستمع إليها عبر وسيط من وسائط الاستماع. والثانية تشخّص أحداثها وشخصياتها وما تقتضيه من مشاهد طبيعية، وغير طبيعية على المسرح. والمسرحية على ما ذكرنا أصلا تعدّ للمشاهدة، ومع ذلك فإنّ الاستماع إلى المسرحيات المخرجة بإتقان، أمر ممتع أيضا!.

مسرحية اللعب الزجاجية:

يقول كاتبها تينيسي ويليمز عن موضوعها، أو ملابسات تأليفها في افتتاحية تقديمها للمشاهد أو للمستمع، يقول ما مفاده: "أريد من هذه المسرحية أن تعكس فترة الكساد العظيم الذي عرفته أمريكا، ومن خلفها العالم يومئذ وهي ترتكز في حدثها على التفاعل الحواري الذي يدور بين الشخصيات الثلاثة الرئيسة، وفق رؤى متباينة في التعامل مع الواقع المعاش. ونظرة وتفكير كلّ شخصية في محاولتها الخروج من الأزمة التي تعصف بالأسرة، كتمثيل للأسرة الأمريكية في ذلك الوقت. تلك المحاولات التي تفضي بهم إلى ما يشبه الأحلام في مواجهة كلّ منهم للواقع. فالفتى TOM يظلّ موزَّع الفكر في التوفيق بين تكريس جهده لإعالة الأسرة، وبين استجابته لرغباته الشخصية، ونزوعه إلى الأسفار والمغامرات. والسيدة AMANDA التي لا تفتأ عن تصديع رأسي طفليها من التغنّي بالأمجاد الغابرة لأسرتها، وبما كانت هي تتمتّع به من شباب وجمال قلّ نظيره بين بنات جيلها! وكيف كانت تستقبل سبعة عشرة خاطبا في اليوم الواحد! والفتاة LAURA التي تكبر TOM بسنتين؛ وما تزال تشغل معظم وقتها بتحريك ومداعبة اللعب الزجاجية. بينما الشخصية الرابعة التي تظهر قرب نهاية المسرحية، كانت أوفر حظا من شخصيات المسرحية من حيث انسجامها مع نفسها وواقعيتها الصريحة في نظرتها للحياة وتلك الشخصية هي: الشاب JIM الذي كان من المفترض في ذهن السيدة AMANDA أن يصبح خطيب ابنتها LAURA.

5) وقفة مقارنة بين العملين:

أ) نقاط الالتقاء:

1. لقد عرفنا الآن من خلال اللمحات المقدّمة عن العملين القصصيين: "من أجل ولدي" ومسرحية "اللعب الزجاجية" أنّ موضوعهما موضوع أسري، وحتّى المضامين المعبّر عنها في العملين متماثلة أو هي على حافة التماثل.
2. تقنية الحكي في العملين قائمة على التذكّر والاسترجاع، وكلّ ما يرد في العملين من وصف، ومحاورات، ومنولوجات، إلى غير ما هنالك من إشارات وتعليقات، إنما هي أشياء قد تمّ وقوعها في زمن ماضٍ.
3. وفيما يتعلّق ببناء الكاتب لشخصية الأمّ AMANDA. فقد سلك في ذلك طريقة مختلفة قليلا عن تلك التي انتهجها محمد عبد الحليم عبد الله مع "أمّ فؤاد" فلم يجعل تفاصيل ماضي AMANDA تكثر وتطول، إذ لم يشخّص شيئا من تفاصيل حياتها الأولى مع زوجها، ولا شيئا من مظاهر الرفاهية التي تزعم أنها كانت تنعم بها في أحضان أسرتها. إلا ما كان يرد على لسان AMANDA ذاتها؛ ويرجع ذلك فيما أرى إلى ما تقتضيه الأعمال المسرحية من اختصار وطيّ لمراحل الزمن، فلم يظهر الأم AMANDA إلاّ وهي في أوج قوة الشخصية، والميل إلى التحكم وتوزيع الأوامر على من حولها، حتى في أبسط شؤون الحياة. وغالبا ما تتلف أوامرها الصارمة أثر عبارة اللباقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستخدمة عادة من قبل الناطقين بالإنجليزية، أعني عبارة "عزيزي" "MY DEAR" ومثال ما نذهب إليه يعبّر عنه النص الآتي:

عائلة "وينق فيلد" قد التأم شمل أعضائها الثلاثة، AMANDA، TOMو LAURA حول مائدة العشاء، الأم AMANDA وبلهجة حادة: أوْ، ...يا لعزيزي TOM، لا تدفع الطعام إلى فمك بأصابعك هكذا، إذا كان ولابد أن تدفع الطعام دفعا، فيمكن أن تستعمل قطعة من الخبز؛ كما يجب أن تمضغ طعامك مضغا جيدا، فإنّ الحيوانات لها إفرازات خاصة في معداتها تمكّنها من هضم الطعام دون مضغ، ولكنّ الإنسان يجب أن يمضغ طعامه جيدا قبل أن يبتلعه. ما هذا؟ كُلْ على مهل، كُلْ على مهل، ..... امضغ؟ امضغ؟ ألا تريد أن تعطي غددك اللعابية فرصة للإفراز؟![10]

هنا نلاحظ إمعان الكاتب في إظهار إلحاح الأمّ على الإبن إلى حدّ أن فقدَ TOM أعصابه ضيقا وضجرا من أسلوب أمّه فلم يتمالك من أن يصيح:

TOM: أمّاه، إنني لم أستمتع بلقمة من عشائي بسبب إرشاداتك المستمرة في كيفية تناول طعامي، إنك أنت التي تدفعينني إلى الإسراع في الأكل بنظراتك التي تشبه نظرات الصقر، لكل لقمة أتناولها. أُوه! إنه لمما يدعو إلى التقزّز حقا أن تتحدّثي عن إفرازات الحيوانات والغدد اللعابية ....!

AMANDA: أنت حاد المزاج كنجوم العاصمة.

وبالنظر إلى أنّ عقدة تزويج ابنتها LAURA ظلّت تهيمن عليها في صباحها، ومسائها، وليلها ونهارها، إلى أن تملّكها ما يشبه الهوس أو الخبل العقلي، فبعد انتقادها لابنها TOM عن طريقة أكله، نسمع شقيقته LAURA تخاطب أمّها قائلة بصوت مرتعش:

LAURA: أمّاه، سأذهب لإحضار القهوة.

AMANDA: لا، لا اجلسي أنت، سأقوم أنا بدور الخادم الأسود اليوم، أمّا أنت فستكونين السيدة.

LAURA: لقد قمت وانتهى الأمر.

AMANDA: اجلسي، اجلسي مكانك، يجب أن تظلّي جميلة نَضرة حتى يحضر السادة الزائرون.

LAURA: أنا لا أتوقّع زوارا اليوم.

AMANDA: العجيب في هؤلاء الزائرين، أنهم لا يأتون إلاّ حين لا يتوقع أحد مجيئهم، وإنّي لأذكر حين كنت فتاتا مثلك في "Blue Mountain" في أمسية أحد الأيام .....

هنا، الصوت يختفي وهي متجهة إلى المطبخ وعند عودتها إلى المائدة تستأنف:

AMANDA: أتذكّر في أمسية أيام أحد الآحاد، في "Blue Mountain" عندما كنت في شبابي، أنني كنت أستقبل سبعة عشر خاطبا، لقد كانت الكراسي في بعض الأحيان لا تكفي الزائرين، فكان يتحتّم علينا أن نرسل الخادم الأسود، إلى المنزل الريفي ليحضر لنا الكراسي المطبّقة!.

وكان طفلاها يستمعان على مضض إلى تلك القصص التي سئما سماعها، لكثرة ما تكرّرها عليهم، بمناسبة وبغير مناسبة. ولم تكن تكتفي بذلك فحسب! بل كان يحلو لها أن تستعرض قائمة أسماء الخطّاب الذين كانوا يترددون على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منزل أسرتها، فتذكر أملاكهم الشاسعة، وما يشغلون من مناصب عليا. وكان طفلاها أثناء تلك العروض يُناكِفَانها بتساؤلات، تنطوي على التندّر بما ترويه لهم، وعادة ما كانت تختم حديثها عن خطّابها، بزفرة حارة طويلة وتقول: آه! ولكن ماذا فعلت؟ تنكّبت طريق الصواب وأخذت والدكم.[11]

وفي نطاق التحكّم والسيطرة المميزة لشخصية السيدة AMANDA، أشير إلى أنّ الفتاة LAURA عندها إعاقة عضوية غير مزمنة، تظهر في شيء من العرج عند المشي. لكن ضغط الأمّ عليها بأوامرها وتقريعاتها المرّة على الأخطاء والهفوات، أصابتها بإعاقة نفسية حادة، فأضحت تخفق في أيّ تعليم أو تكوين أو عمل توجّه إليه. إذ كانت تتملّص من كلّ ذلك بالمرض تارة، وبقضاء الوقت المفروض لتلك الحصص في بعض الأماكن تارة أخرى. ويوم أن اكتشفت الأمّ تغيّب ابنتها المتواصل عن مؤسسة التعليم والتكوين المهني، جلست معها جلسة الاستفسار والمحاسبة، فجرى بينهما حوار ساخن صاخب، كان للأمّ فيه نصيب الأسد. من بعض ذلك الحوار، قول الأمّ بلهجة تقطر حنقا وغيظا:

الأم: LAURA أين كنت تذهبين؟

LAURA: (مرتاعة) إلى جميع الأماكن، وغالبا كنت أذهب إلى المنتزه.

الأم: وحتى لو أصابك برد؟

LAURA: لقد كان أخفّ الضررين. لم أكن أستطيع العودة إلى الكلية بعد أن تقيأت على الأرض.

الأم: هل تريدين أن تقنعيني بأنّك كنت تتنزّهين في الحديقة من الساعة السابعة صباحا إلى ما بعد الخامسة كلّ يوم، وكنت تحمليني على الاعتقاد بأنك تذهبين إلى كلية Ro Become المهنية؟

LAURA: آه يا أمي، لم يكن الأمر على هذه الصورة السيئة كما يبدو، لقد كنت أدخل إلى بعض الأماكن لأحصل على الدفء.

الأم: إلى أيّ الأماكن؟

LAURA: كنت أذهب إلى متحف الفنّ، أو إلى بيوت الطيور في حديقة الحيوانات؛ وكنت أزور طائر البطريق كلّ يوم. وفي بعض الأحيان كنت أذهب إلى السينما دون غذاء، وفي الأيام الأخيرة كنت أقضي كلّ أمسياتي في صندوق المجوهرات، وهو المنزل الزجاجي الكبير الذي يستخدم لحفظ زهور المناطق الحارة.

الأمّ: (بصوت مرعب) فعلت كلّ هذا لتخدعيني، لمجرّد خداعي. لماذا كلّ هذا الخداع؟

LAURA: (بصوت مرتج النبرات) إنّك عندما تغضبين، تبدو على وجهك نظرة ألم مخيفة. كتلك التي تظهر على وجه العذراء في المتحف!

الأمّ: صه؟ لا تلوّثي هذا الإسم على لسانك.

LAURA: (تنفجر باكية وهي تردّد) لا أستطيع مواجهة الموقف، لا أستطيع.

4. جهد الابنين لم ينصف، فالابنان في كلا العملين أتهما بالأنانية وعدم التضحية لصالح الأسرة، مع ما يبذلانه من جهد وتضحية وتفانٍ في تجاهل تطلّعاتهما الشخصية، كلّ ذلك ليشاطرا والدتيهما عبء ما تحملانه من المسؤولية. بيد أنّ الوالدتين –بحكم خاصية الأمومة المغروزة في كيان المرأة– تجبرانهما على التوجّس مما قد ينال الأسرة من سوء. لاسيما ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد يصيب الضعاف من أعضائها، وذلك في ظنّي ما يحمل كلّ أمّ في وضع الوالدتين المذكورتين على الغلو في مطالبة الأبناء الذكور بالمزيد من العطاء إلى حدّ احتمال وقوع شرخ في أواصر العائلة يصعب إلتآمُه.

ب) ***نقاط الاختلاف*** :

1. **سبب غياب الأب في الأسرتين**: لقد عرفنا أنّ سبب غياب الأب في رواية "من أجل ولد" هو الموت. بينما غياب الأب في مسرحية "اللعب الزجاجية"، كان غيابا إراديا إلى أن يثبت العكس، وانتهت المسرحية دون أن يثبت ذلك.
2. **المجازات التعبيرية**: هنالك تعبيرات مجازية تحمل ظلالا من العنصرية، أو من البيئة، أو من الديانة. وسأقتصر في هذه النقطة على مسرحية "اللعب الزجاجية". ما تشير إليه تلك التعبيرات موجود في بيئتنا العربية، غير أنّ كتاب الأعمال العربية في العالم العربي قَلّ أن ترِد تلك التعابير على أسنّة أقلامهم، وإن وردت فلن تكون بالتلقائية التي تفرزها أقلام الكُتاب الأوروبيين. فمنذ حين سمعنا السيدة AMANDA تنهر بنتها، عندما شبّهت نظرات الألم المخيفة التي تبدو في عيني أمّها، بنظرات العذراء فنهرتها أمّها: صه، صه لا تلوّثي هذا الاسم على لسانك. والراجح أنها تعني لا تخلطي الاسم المقدّس بما نحن فيه من سلوكك الشاذ! أيضا وباعتبار السيدة AMANDA من مواطني الجنوب الأمريكي، حيث استفحلت وربما لا تزال الطبقية والنزعة العنصرية. فقد سمعنا عبارة العنصرية تطفو على لسانها في المسرحية مرّتين على الأقل، من قبيل ذلك حين أرادت أن تعبّر لطفليها عن كثرة خُطّابها المتوافدين على بيت أهلها، إذ قالت: "فلقد كانت الكراسي أحيانا لا تكفي الزائرين، وكان يتحتّم علينا أن نرسل الخادم الأسود، إلى المنزل الريفي ليحضر الكراسي المطبّقة". وأضيف هنا نكتة ما دمنا بصدد الكلام عن خُطّاب السيدة، تُنبئ عن كونها امرأة مثقفة، لحظة كانت تحدّث طفليها بحماس، عن أولئك الخُطاب وحظوظهم المعنوية والمادية في الحياة، فقد قالت عن أحد الذين أُعجبت بهم: فأصبح مثل "ميداس" يُحيل كلّ شيء يلمسه إلى ذهَب!
3. **البيئة الاجتماعية**: نعلم جميعا أنّ البيئة الاجتماعية الأمريكية، لا تختلف كثيرا عن البيئات الاجتماعية الأوروبية على العموم. لنأخذ جزءا صغيرا من حياتهم اليومية وأعني به تعاملهم مع "الخنزير"، فهم يتصرّفون مع ذلك الحيوان بنفس السلاسة والاعتياد التي نتعامل بها نحن مع المواشي المعروفة في بيئاتنا. إذ تراهم – أعني الأمريكيين – لا يفتأون عن إطلاق اسم ذلك الحيوان أو شيء من صفاته على ما يكرهون أو يشمئزّون منه، سواء ما تعلّق بالإنسان، أو بغيره من الأشياء. مثلما لا يتحرّجون من أن يتحدّثوا عن وجبات شهية وفق ذوقهم يحضّرونها بلحم ذلك الحيوان. عندما أخبر TOM أمّه بأنّ الشاب الذي ترغب هي في حضوره إلى البيت غدا، قامت تضجّ بالشكوى من أنّ الوقت لا يكفيها لإتمام كلّ الاستعدادات لاستقبال الضيف، فطفق TOM يؤكّد لها، بأنه ليس ثمة أيّ داعٍ لكلّ ما تنوي تحضيره لذلك الضيف. فردّت عليه: هذا لمجرد أنّك لا تعرف شيئا، إنّ كلّ ما هناك أنّك لا تدري شيئا، وأظنّك لا تقبل أن يزورنا أحد في حظيرة الخنازير هذه!.
4. **الفارق الحضاري بين البيئتين**: أعني بيئة رواية "من أجل ولدي" وبيئة مسرحية "اللعب الزجاجية"، ففي رواية من أجل ولدي لم يجر ذكر الهاتف، أو (التليفون) على لسان أيّ شخصية من شخوص الرواية، وذلك لا يعني أنّ الهاتف في زمن كتابة الرواية لم يكن له وجود بمدينة القاهرة، بقدر ما يعني أنّ الهاتف إلى ذلك الحين لم يصبح بعد من ضرورات الحياة اليومية لمعظم الناس. بينما نجد السيدة AMANDA قد استخدمت التليفون من بيتها مرّتين على الأقل للاتصال بالمشتركات في المجلة النسائية التي تعمل AMANDA لحسابها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6) نتائج البحث:

1. لقد تبيّن لي من خلال رحلتي مع هذا البحث، تبيّن لي أنّ النجاح والتوفيق في بناء الشخصية الأسرية قد أضحى قسمة متعادلة إلى حدّ بعيد بين الكاتبين. فكما أنّ محمد عبد الحليم عبد الله يستدرج ويدمج بخفة وسلاسة قارئه في الأحداث الأسرية المشخصة في رواية "من أجل ولدي" ، فكذلك نلحظ المهارة والبراعة ذاتها في اجتذاب المشاهد أو المستمع للأحداث الأسرية الممثلة في مسرحية "اللعب الحيوانية" للكاتب الأمريكي تينسي ويليمز.
2. لم أعثر على ما تخيّلت وجوده بين العملين القصصيين، وأعني به ما يتصل بمشاعر الأمومة، إذ توقعت أن أجد تباينا ملموسا بين الأم المصرية العربية، وبين الأم الأمريكية من حيث تضحيتهما، وتفانيهما، في رعاية وصيانة أطفالهما. ولعل سر ذلك التوافق راجع إلى أنّ الأمّ الأمريكية، قد نشأت في أحضان أسرة تنتمي إلى الجنوب الأمريكي. الجنوب الذي ربما إلى ذلك العهد ما برحت المرأة في ربوعه، محتفظة بقيمها الأصيلة، التي تأبى عليها أن تعيش لذاتها وجمالها وشبابها، والنصوص المعروضة في هذا السياق تشهد على ذلك.
3. هنالك قيمة من القيم الأصيلة يجدر التنويه بها، وهي: أنّ "أمّ فؤاد" في "من أجل ولدي"، والسيدة AMANDA في "اللعب الحيوانية الزجاجية"، تلتقيان كلتاهما في خُلة التجاوز والتغاضي عن التصرفات والأخطاء الصادرة عن زوجيهما، مع ما تجرّعتاه منهما من بؤس، وتعاسة، استغرقت جلّ حياتهما. دون أن تُظهر إحدى السيدتين تأففا أو كرها لزوجها.
4. لقد رجّحت أن تكون المرأة في البيئة الاجتماعية الأمريكية أكثر تحررا من المرأة العربية، في اختيار الرجل الذي تودّ الارتباط به كزوج. بغض النظر عما يترتب من نتائج حرية الاختيار. فتأكد لي ذلك حين طفقت السيدة AMANDA تحدّث ابنتها LAURA مشجّعة إياها على تناسي العرج الطفيف، المصابة به إحدى قدميها. ومضت تهوّن عليها تلك العاهة: "إنه عيب بسيط لا يكاد يلحظ، فبإمكانك أن تعوّضيه بشيء آخر، يمكن أن تعوّضيه بالجاذبية، بالحيوية، بالفتنة". وهنا تصعّد زفرة حارة وتقول: "هذا هو الشيء الوحيد الذي كان أبوك يتمّتع بأكبر قدر منه، الجاذبية. إييه !!. هذا الرجل كان يستطيع أن يجتذب عصفورا من عشّه فوق الشجرة". لا ريب أنّ الفتاة LAURA قد فهمت ووعت مدى تعلّق وشغف أمها بذلك الزوج الغائب أعني والد LAURA.

هوامش وإحالات:

[1] راجع مقدّمة كتاب فن القصة عند محمد عبد الحليم عبد الله، تأليف د. يوسف نوفل. ص1

[2] من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص 49، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة. ص4

[3] من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص 50 – 51، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة. ص5

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[4]من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص 54 – 55، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة.ص6

[5]من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص 57، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة.ص7

[6]من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص57، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة.ص7

[7]بدرية بنت أمّ فؤاد الكبرى تتّسم بخشونة الطبع والمشاكسة المتعمّدة لأختها سميرة الرقيقة الوديعة.ص7

[8]من أجل ولدي، محمد عبد الحليم عبد الله، ص65، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار، 3 شارع كامل صدقي، "الفجالة" القاهرة.ص7

[9]المرجع السابق، ص 142 – 143. ص9

[10]مسرحية اللعب الزجاجية، أرشيف إذاعة البرنامج الثقافي من القاهرة، أذيعت ضمن برنامج "من روائع المسرح العالمي"، تأليف تينيسي ويليامز، ترجمة حسين الحوت، إخراج كامل يوسف.ص12

[11]المرجع السابق. ص13

استدراك : لقد كان رائدي فيما ذكرتُ عن الأدب المقارن مناقشة نقدية لكتاب عنوانه "حدود الأدب المقارن" تأليف: فرنارد بي فريدريك ودافيد هنري مالون، ترجمة وتعليق الباحث الدكتور عبد الحكيم حسان، أستاذ الأدب المقارن في كلية دار العلوم بالقاهرة. أذاع الحلقة "البرنامج الثقافي من القاهرة" ضمن برنامج "مع النقاد"، وهي متوفرة بمكتبتي الصوتية.

المصادر والمراجع:

سيلحظ القارئ في هذه القائمة القصيرة النفس ذكرا لبعض المواد المسموعة المعتمدة في هذا المقال وذلك لأمر يخص صاحب النص ولعل القارئ بذكائه يفطن لذلك الأمر، وبحكم محور المقال مقارنة بين أديبين في عملين سرديين لهما فلدينا مصدران الأول (من أجل ولدي) رواية للكاتب المصري (محمد عبد الحليم عبد الله) والثاني (اللعب الحيوانية الزجاجية) مسرحية للكاتب الأمريكي (تينيسي ويليمز)، والعينة لما أشير إليه نجدها ماثلة في المصدر الثاني لكونه قائما على مسرحية مسموعة ومثال آخر للمسموعات المعتمدة في المقال الحلقة الحوارية النقدية التي دارت حول كتاب (حدود الأدب المقارن) تأليف: فرنارد بي فريدريك ودافيد هنري مالون، ترجمة وتعليق الباحث الدكتور عبد الحكيم حسان، أستاذ الأدب المقارن في كلية دار العلوم بالقاهرة. أذاع الحلقة "البرنامج الثقافي من القاهرة" ضمن برنامج "مع النقاد"، وهي متوفرة بمكتبتي الصوتية. وقد طعمت بعض ما أعرف عن الأدب المقارن بما أدلى به من أفكار الدكتور (محمد حسن عبد الله) أستاذ الأدب والنقد بكلية دار العلوم القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com